(١٠٧) [الطيب]

لم يرد ذكر اسمه سبحانه (الطيب) في القرآن الكريم، وإنما ورد في حديث النبي ﷺ حيث روى أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (**أيها الناس إن الله طيب ولا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال**: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك)[(١)].

المعنى اللغوي:

«ومعنى **الطيب**: الطاهر والنظيف والحسن والعفيف والسهل واللين، **والطيب**: خلاف الخبيث.. ويقال: أرض طيبة للتي تصلح للنبات. وريح طيبة: إذا كانت لينة ليست بشديدة، وطعمة طيبة إذا كانت حلالاً، وامرأة طيبة: إذا كانت حصانًا عفيفة، وكلمة طيبة: إذا لم يكن فيها مكروه، وبلدة طيبة: أي آمنة كثيرة الخير.

وقد يرد الطيب بمعنى: الطاهر»[(٢)].

المعنى في حق الله تعالى:

قال النووي - رحمه الله تعالى - في شرح الحديث: «قال القاضي عياض: الطيب في صفة الله تعالى بمعنى المنزه عن النقائص وهو بمعنى

---

(١) رواه مسلم في الزكاة (١٠١٥).

(٢) انظر لسان العرب ٤/ ٢٧٣١، والصحاح ١/ ١٧٣.

القدوس، وأصل الطيب: الزكاة والطهارة والسلامة من الخبث»[1].

وقال ابن القيم – رحمه الله تعالى – في شرحه لقوله ﷺ: (**والصلوات والطيبات**) وذلك في دعاء التشهد: «وكذلك قوله: (والطيبات) هي صفة الموصوف المحذوف أي: الطيبات من الكلمات والأفعال والصفات والأسماء لله وحده، فهو طيب وأفعاله طيبة، وصفاته أطيب شيء، وأسماؤه أطيب الأسماء، واسمه (**الطيب**)، ولا يصدر عنه إلا طيب، ولا يصعد إليه إلا طيب، ولا يقرب منه إلا طيب، وإليه يصعد الكلم الطيب وفعله طيب، والعمل الطيب يعرج إليه، فالطيبات كلها له ومضافة إليه وصادرة عنه ومنتهية إليه ... فإذا كان هو سبحانه الطيب على الإطلاق فالكلمات الطيبات، والأفعال الطيبات، والصفات الطيبات، والأسماء الطيبات كلها له سبحانه لا يستحقها أحد سواه، بل ما طاب شيء قط إلا بطيبته سبحانه فطيب كل ما سواه من آثار طيبته، ولا تصلح هذه التحية الطيبة إلا له»[2].

من آثار الإيمان باسمه سبحانه (الطيب):

أولاً: لما كان من معاني اسمه سبحانه (الطيب): القدوس المنزه عن العيوب والنقائص، فإن ما ذكر من آثار الإيمان باسمه سبحانه (القدوس)، (السبوح) يصلح أن يذكر هنا فليرجع إليه.

ثانيًا: محبة الله سبحانه لصفاته وأسمائه الطيبة الجليلة الكريمة، وحمده

(١) شرح مسلم للنووي ٧/ ١٠٠.

(٢) الصلاة وحكم تاركها ص ٢١٤، ٢١٥.

عليها وإجلاله وتعظيمه، والثناء عليه بها.

ثالثًا: ومن آثار اسمه سبحانه (**الطيب**) ما جاء في الحديث نفسه من أنه سبحانه طيب لا يقبل إلا طيبًا، ولا ينبغي أن يتقرب إليه العبد إلا بالطيب من الأقوال والأعمال المنبعثة من المقاصد الطيبة، قال - عز وجل -: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

وروى أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (**مَنْ تصدَّق بعَدْل تمرة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - فإن الله يتقبَّلها بيمينه ثم يُربيها لصاحبها كما يُربِّي أحدُكم فَلُوَّه، حتى تكون مثل الجبل**)[(١)].

فلا يقبل الله تعالى الصَّدقة بالحرام، لأنه تصرفٌ فيما لا يملك، فمن تصدَّق من ربا أو سرقة أو غلولٍ فإن الله تعالى لا يقبله، كما قال ﷺ: (**لا تُقبلُ صلاةٌ بغير طُهور، ولا صدقةٌ من غُلُول**)[(٢)].

وكذلك كل الأقوال والأعمال لا يقبل الله - عز وجل - منها إلا الطيب الصالح، قال - عز وجل -: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ ﴾ [فاطر: ١٠].

ويقول ابن القيم رحمه الله تعالى: «وهو (طيب) لا يصعد إليه إلا طيب، والكلم الطيب إليه يصعد فكانت الطيبات كلها له ومنه وإليه له

---

(١) رواه البخاري في الزكاة (١٤١٠)، وكذلك مسلم في الزكاة (١٠١٤).

(٢) رواه مسلم في الطهارة (٢٢٤).

ملكًا ووصفًا ومنه مجيئها وابتداؤها وإليه مصعدها ومنتهاها»[١].

رابعًا: ومن آثار الإيمان باسمه سبحانه **(الطيب)** محبة من اختاره سبحانه لأن يكون طيبًا من مخلوقاته لأنه لا يختار ولا يختص من المخلوقات إلا أطيبها، ومن هو أهل للطيب والزكاء.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: «إن الله سبحانه وتعالى اختار من كل جنس من أجناس المخلوقات أطيبه واختصه لنفسه وارتضاه دون غيره، فإنه تعالى طيب لا يحب إلا الطيب ولا يقبل من العمل والكلام والصدقة إلا الطيب، فالطيب من كل شيء هو مختاره تعالى»[٢].

لذا فإن من الآثار الحسنة للإيمان باسمه سبحانه (الطيب) أن المؤمن لا يحب ولا يؤثر من العقائد والأقوال، والأعمال والأخلاق، والأصحاب والمناكح، والمطاعم والمشارب إلا أطيبها وأزكاها. ويفصل هذه الآثار الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - فيقول: «فإن الطيب لا يناسبه إلا الطيب، ولا يرضى إلا به، ولا يسكُن إلا إليه، ولا يطمئن قلبُه إلا به، فله من الكلام الكَلِمُ الطيب الذي لا يصعد إلى الله تعالى إلا هو، وهو أشدُّ شيء نُفرة عن الفحش في المقال، والتفحُّش في اللسان والبذاء، والكذب والغيبة، والنميمة والبُهت، وقول الزور، وكل كلام خبيث.

وكذلك لا يألف من الأعمال إلا أطيبها، وهي الأعمال التي اجتمعت على حسنها الفِطَرُ السليمةُ مع الشرائع النبوية، وزكتها العقولُ

(١) بدائع الفوائد ٢/ ١٦٢.

(٢) زاد المعاد ١/ ٦٥.

الصحيحة، فاتفق على حسنها الشرعُ والعقلُ والفِطرةُ، مثل أن يَعْبُدَ الله وحده لا يُشرِكُ به شيئًا، ويؤثِرَ مرضاته على هواه، ويتحببَ إليه جُهده وطاقته، ويُحْسِنَ إلى خلقه ما استطاع، فيفعل بهم ما يُحب أن يفعلوا به، ويُعَاملوه به، ويَدَعَهم ممّا يحب أن يَدَعُوه منه، وينصحهم بما ينصح به نفسه، ويحكم لهم بما يحب أن يحكم له به، ويحمل أذاهم ولا يحمِّلهم أذاه، ويكُفَّ عن أعراضهم ولا يُقابلهم بما نالوا من عرضه، وإذا رأى لهم حسنًا أذاعه، وإذا رأى لهم سيئًا كتمه، ويُقيم أعذارهم ما استطاع فيما لا يُبطِلُ شريعة، ولا يُناقضُ لله أمرًا ولا نهيًا.

وله أيضًا من الأخلاق أطيبها وأزكاها، كالحلم، والوقار، والسكينة، والرحمة، والصبر، والوفاء وسهولة الجانب، ولين العريكة، والصدق، وسلامة الصدر من الغِل والغش والحقد والحسد، والتواضع، وخفض الجناح لأهل الإيمان والعزة، والغلظة على أعداء الله، وصيانة الوجه عن بذله وتذلـله لغير الله ، والعِفة والشجاعة، والسخاء، والمرُوءة، وكل خلق اتفقت على حسنه الشرائع والفطر والعقول.

وكذلك لا يختار من المطاعم إلا أطيبها، وهو الحلال الهنيء المريء الذي يُغذّي البدن والروح أحسنَ تغذية، مع سلامة العبد من تَبِعَتِهِ.

وكذلك لا يختار من المناكح إلا أطيبها وأزكاها، ومن الرائحة إلا أطيبَها وأزكاها، ومن الأصحاب والعُشراء إلا الطيبين منهم، فروحه طيبة، وبدنُه طيب، وخُلُقُه طيب، وعملُه طيب، وكلامُه طيِّب، ومطعمُه طيب، ومَشربه طيب، وملبَسهُ طيب، ومنكِحُه طيب، ومدخلُه طيب،

ومخرجُه طيب، ومُنْقَلَبُهُ طيب، ومثواه كله طيب. فهذا ممن قال الله تعالى فيه: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النحل: ٣٢]، ومن الذين يقول لهم خزنة الجنة: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ [الزمر: ٧٣] وهذه الفاء تقتضي السببية، أي: بسبب طيبكم ادخلوها. وقال تعالى: ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ﴾[النور: ٢٦] وقد فسرت الآية بأن الكلمات الخبيثات للخبيثين، والكلمات الطيبات للطيبين، وفسرت بأن النساء الطيبات للرجال الطيبين، والنساء الخبيثات للرجال الخبيثين، وهي تعم ذلك وغيره، فالكلمات والأعمال، والنساء الطيبات لمناسبها من الطيبين، والكلمات، والأعمال، والنساء الخبيثة لمناسبها من الخبيثين، فالله سبحانه وتعالى جعل الطَّيِّبَ بحذافيره في الجنة، وجعل الخبيث بحذافيره في النار، فجعل الدُّور ثلاثة: دارًا أخلصت للطيبين، وهي حرامٌ على غير الطيبين، وقد جمعت كُلَّ طيب وهي الجنة، ودارًا أخلصت للخبيث والخبائث، ولا يدخلها إلا الخبيثون، وهي النَّار، ودارًا امتزج فيها الطيبُ والخبيث، وخلط بينهما، وهي هذه الدار، ولهذا وقع الابتلاءُ والمحنة بسبب هذا الامتزاج والاختلاط، وذلك بموجب الحكمة الإلهية، فإذا كان يوم معاد الخليقة، ميز الله الخبيث من الطيب، فجعل الطيب وأهله في دار على حدة لا يُخالِطهم غيرُهم، وجعل الخبيثَ وأهله في دار على حدة لا يخالطهم غيرهم، فعاد الأمر إلى دارين فقط: الجنَّة، وهي دار الطيبين، والنار، وهي دار الخبيثين.

... وقد يكون في الشخص مادتان، فأيهما غلب عليه كان من أهلها، فإن أراد الله به خيرًا طهره من المادة الخبيثة قبل الموافاة، فيُوافيه يوم القيامة مطهرًا، فلا يحتاج إلى تطهيره بالنار، فيطهره منها بما يوفِّقه له من التوبة النصوحِ، والحسناتِ الماحية، والمصائب المكفِّرة، حتى يلقى الله وما عليه خطيئة، ويُمسك عن الآخر مواد التطهير، فيلقاه يوم القيامة بمادة خبيثة، ومادة طيبة، وحكمته تعالى تأبى أن يُجَاوره أحد في داره بخبائثه، فيدخله النار طهرة له وتصفية وسبكًا، فإذا خلصت سبيكةُ إيمانه من الخبث،صلح حينئذٍ لجواره، ومساكنة الطيبين من عباده، وإقامة هذا النوع من الناس في النار على حسب سرعة زوال تلك الخبائث منهم وبطئها، فأسرعهم زوالاً وتطهيرًا أسرعُهم خروجًا، وأبطؤهم أبطؤُهم خروجًا، جزاءً وفاقًا، وما ربُّك بظلام للعبيد.

ولما كان المشرك خبيث العنصر، خبيث الذات، لم تطهر النار خبثه، بل لو خرج منها لعاد خبيثًا كما كان، كالكلب إذا دخل البحر ثم خرج منه، فلذلك حرَم الله تعالى على المشرك الجنَّة.

ولما كان المؤمن الطيب المطيب مبَّرءًا من الخبائث، كانت النار حرامًا عليه، إذ ليس فيه ما يقتضي تطهيره بها، فسبحان من بهرت حكمته العقول والألباب، وشهدت فِطَرُ عباده وعقولهم بأنه أحكم الحاكمين، وربُّ العالمين، لا إله إلا هو»[1].

خامسًا: حمده سبحانه والثناء عليه واللهج بذكره وشكره على ما

(١) زاد المعاد ١/ ٦٥ - ٦٨ (باختصار يسير).

أنعم به سبحانه علينا، حيث أنزل علينا أفضل كتبه وأرسل إلينا أفضل رسله، وشرع لنا أفضل شرائعه، التي كلها طيبة في عقيدتها وأحكامها وأخلاقها، والتي تكفل لكل من تعلمها وعمل بها الحياة الطيبة الهنيئة المطمئنة في الدنيا والآخرة كما في قوله عز وجل: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل: ٩٧].

وهذا كله من آثار اسمه سبحانه (الطيب)، ومع ذلك نرى اليوم أكثر مجتمعات المسلمين قد أعرضت عن هذه الشريعة الكريمة الطيبة واستبدلت بها الأنظمة البشرية الجاهلية التي تنضح بالخبث والشقاء والظلم والهوى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة: ٥٠].

وإن من الشكر على الهداية لهذه الشريعة الطيبة الكاملة الغراء السعي لنشرها بين الناس والدعوة إليها وبيان محاسنها وإقامتها في مجتمعات المسلمين، والتحذير من الأحكام الجاهلية الكافرة الجائرة، وبيان عوارها وخبثها للناس والدعوة إلى نبذها وبيان أن قبول حكم الله - عز وجل - ورفض ما يخالفه ويضاده من أصول الإيمان، قال الله - عز وجل -: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٥].